# الرحمة والعدل في قدر الله تعالى

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

١ «لَمَّا قَضَى اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ،

٢ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ:

٣ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي»(١٨٥).

## آيات

- ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤].
- ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].
- ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

## الراوي

هو: أبو هريرة، واسمه -على الأرجح-: عبدُ الرحمنِ بنُ صَخرٍ الدَّوسيُّ، الأزْديُّ، اليَماني، أسلَمَ عامَ خَيبَرَ ٥٧، ولازمَ النبيَّ ﷺ وحرص على العلم وحفظ الحديث، فكان أكثر الصحابة رواية للأحاديث؛ توفي بالمدينة سنة (٥٨هـ)(١).

## خلاصة

ذكر النبيُّ ﷺ أن الله عزَّ وجل حين فرغ من الخلق كَتَب في اللوح المحفوظ عنده فوق عرشه: إن رحمتي غلبت غضبي.

(١٨٥) رواه البخاريُّ (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١).

(١) تُراجع ترجمته في: «معرفة الصحابة» لأبي نُعيم (٤/ ١٨٤٦)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (٤/ ١٧٧٠)، «أُسد الغابة» لابن الأثير (٣/ ٣٥٧)، «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلانيِّ (٤/ ٢٦٧).

١ لما فرغ الله عزَّ وجل من خلق جميع المخلوقات أمر القلم أن يكتب في اللوح المحفوظ الذي لا يُغادر صغيرةً ولا كبيرةً من الأقدار والأخبار، كما في حديثِ عُبادةَ بنِ الصامت ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «إن أولَ ما خلَقَ اللهُ القلمُ، فقال له: اكتبْ، قال: ربِّ، وماذا أكتبُ؟ قال: اكتبْ مقاديرَ كلِّ شيء حتى تقومَ الساعةُ»(١٨٦).

٢ وهذا الكتاب محفوظٌ فوق عرش الرحمن.

وذلك من أدلة علوِّه سبحانه وأنه فوق السموات السبع، على عرشه سبحانه؛ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

٣ كَتَب عزَّ وجلَّ فيه: «إنَّ رحمتي غلبت غضبي»، ومعنى ذلك أنَّ نصيب خلقه من الرحمة أكثر من نصيبهم من الغضب؛ فلولا سبق الرحمة لَمَا أمهل عاصيًا في الدنيا، لقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ﴾ [فاطر: ٤٥]، ولولاها لما استحقَّ الجنَّةَ أحدٌ من الخلق؛ قال ﷺ: «لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الجَنَّةَ» قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَا، وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ»(١٨٧).

ومن سبق رحمته تعالى أنه يمهل العصاة، ويلهمهم الاستغفار، حتى إذا استغفروا غفر لهم.

ومِن سَبْقِ رحمة الله تعالى غضبه أنه يرزق الكافرَ والفاجرَ، ويُنَعِّمهم، ويدفع عنهم الآلام، ولو عاملهم بغضبه لخسف بهم الأرض وما ترك عليها منهم أحداً، وعذَّبهم، وحرمهم من الرزق.

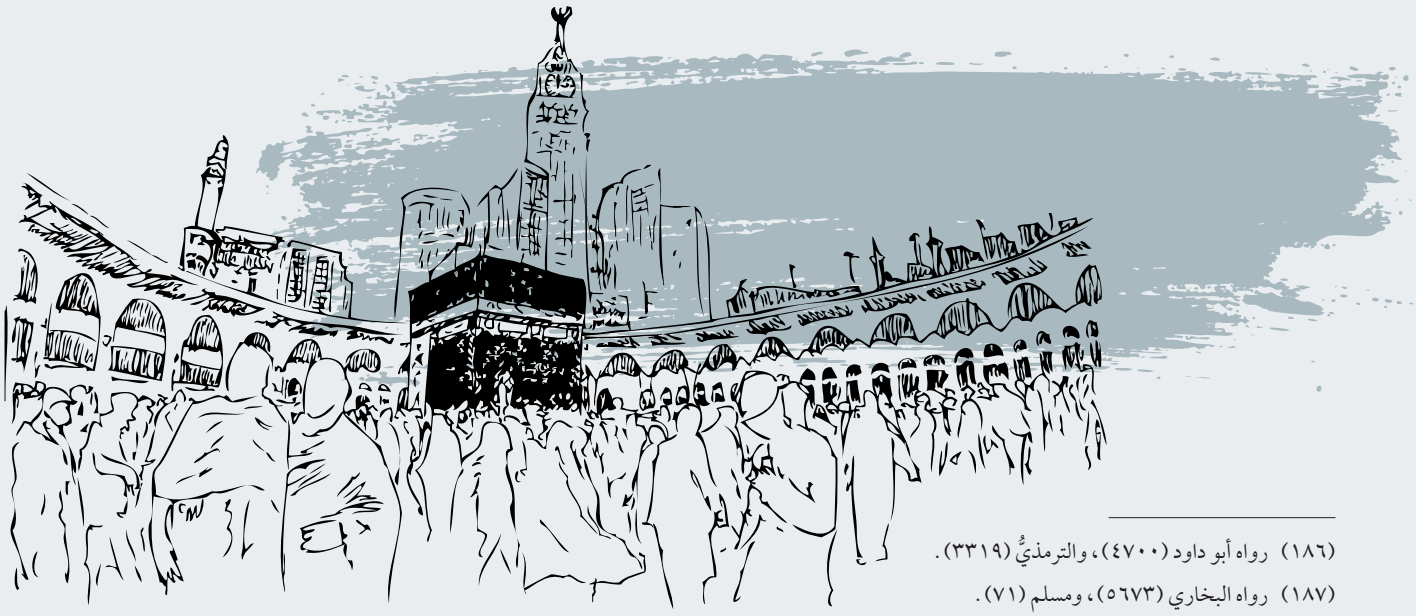

(١٨٦) رواه أبو داود (٤٧٠٠)، والترمذيُّ (٣٣١٩).

(١٨٧) رواه البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٧١).

# اتّباع

١ رحمة الله تعالى سبقت غضبه، وذلك يقتضي قبول توبة العصاة والمُسرفين على أنفسهم، فينبغي على كلِّ عبدٍ أن يطمع في رحمة الله تعالى، وأن يبادر إليه بالتوبة مهما أجرم وأذنب، ولا يصدَّه ذنبه عن التعرض لرحمة الله، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

٢ كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا، ثُمَّ خَرَجَ يَسْأَلُ، فَأَتَى رَاهِبًا فَسَأَلَهُ فَقَالَ لَهُ: هَلْ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: ائْتِ قَرْيَةَ كَذَا وَكَذَا، فَأَدْرَكَهُ المَوْتُ، فَنَاءَ بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ العَذَابِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَقَرَّبِي، وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي، وَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَهُمَا، فَوُجِدَ إِلَى هَذِهِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ، فَغُفِرَ لَهُ[١٨٨].

٣ على المسلم أن يتخلق بمثل هذا الحديث، فيغلب رحمته على غضبه، وصبره على جزعه.

٤ لا تظنَّنَّ أنَّ رحمةَ اللهِ تعالى للكافر والمؤمن على السَّواء؛ فإنَّ رحمته تعالى للكافر والفاسق تكونُ في الرزقِ والإمهالِ، بينما رحمته بالمؤمن تُحَرِّمُ النار عليه، وتُدخله الجنةَ على ما كان من العمل، وتلطف به في الأقدار، وتختم له حياته بعملٍ صالحٍ يُقبضُ عليه.

**قال الشاعر:**

إن كنـتَ ترجـو مِـن الرحمـنِ رحمتَـه ... فارحمْ ضِعافَ الورَى يا صاحِ محترِمَا
واقصِـدْ بذلـك وجـهَ الله خالقِنـا ... سـبحانَه مِـن إلـهٍ قـد بـرى النَّسَـما
واطلبْ جزا ذاك مِن مولاك رحمتَه ... فإنَّـما يَرْحَـمُ الرحمـنُ مَـن رحِـما

(١٨٨) رواه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦).